گـۆڤـاری زانـکـۆی ڕاپـەڕیــن
Journal of University of Raparin.
مجلة جامعة رابرين

E-ISSN: 2522 – 7130 P-ISSN: 2410 – 1036
This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0
DOI:10.26750/Vol(11).No(3).Paper34

رێـکەوتـی وەرگـرتـن: ٢٠٢٤/٠١/١٠
رێکەوتی پەسەندکردن: ٢٠٢٤/٠٤/١٨
رێـکەوتی بڵاوکردنەوە: ٢٠٢٤/٠٦/٢٩

الإبدال عند الآلوسي (ت1270هـ) في تفسيره روح المعاني – دراسة صرفيّة صوتيّة تحليليّة

كبرى جليل حسين

Kubra.jalil@garmian.edu.kurd

قسم اللغة العربيّة، كلية التّربية، جامعة كرميان، كلار، إقليم كوردستان، العراق.

الملخص

يُعدّ الإبدال ظاهرة من الظواهر الصرفية في العربية، وهو علم يُعنى بدراسة البنية اللغوية، وأحوالها، وتقلباتها، وقد أخذت هذه الظاهرة حيزًا واسعًا من اهتمام علماء الصرف قديمًا وحديثًا. فقد أدرك اللغويون القدماء قيمة الصوت الكبيرة في حدوث الإبدال، فوضعوا القوانين التي تتحكم في هذه الظاهرة، وعبروا عنها بمسمياتٍ مختلفة، منها الادغام، والمماثلة، والمخالفة، وأمّا المحدثون فقد تطرقوا إلى هذه الظاهرة في ضوء معطيات علم الصرف الحديث واضعين في الحسبان دراسة الكلمة انطلاقًا من النطق لا من الرسم الخطي، فارتأيتُ أنْ أكتبَ بحثًا فيه، يرمي الى إجراء دراسةٍ وصفيةٍ تحليليةٍ على مصطلح الإبدال، ومفهومه، ومنهج تحليله عند مفسرٍ من المفسرين ألا وهو أبو الثناء الآلوسي؛ لكونه تطرّق في تفسيره (روح المعاني) إلى العديد من الكلمات القرآنية التي وقع فيها إبدال، وأهدف من وراء ذلك إلى التّعرف على شخصية الآلوسي الصرفيّة أوّلًا، ولبيان موقفه من ظاهرة الإبدال ثانيًا، وللتعرف على منهجه في تعليل ظاهرة الإبدال ثالثًا.

وقد ارتأيتُ أنْ أقتصرَ في بحثي على المشهور الشائع من حالات الإبدال في تفسيره، والتي حدثت بسبب العلاقة الصوتية بين البدل والمبدل منه، فاستبعدتُ تلك الحالات النّادرة التي تحدث بين الأصوات المتباعدة التي ليست بينها علّةٌ صوتيةٌ، واقتصرتُ على الأصوات المتحدة المخارج، والمتقاربة، وفي حالة عدم وجود علاقة مخرجية اتّجهتُ صوب الصفات الصوتية للصوتين المبدلين.

الكلمات المفتاحيّة: الآلوسي، الإبدال، الإدغام، الصامت، افتعل، تفاعل.

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد البلغاء، وإمام الفُصحاء، سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنّ الإبدالَ ظاهرةٌ وليدة الحيلة اللغوية، ولها دورٌ بارزٌ في تنوع الأفعال، والمصادر، وتنوع المشتقات المختلفة، إذ تتعاقب الأصوات فيما بينها ؛ لتكونَ سببًا مباشرًا في تغيير التّشكيل المقطعي ممّا يترتب عليه آثارٌ لفظيّةٌ، ومعنويّةٌ.

ويهدف هذا البحث إلى التّنبيه إلى حجم الجهد المقدّم من قبل الآلوسي في سبيل التّحليل الصوتي لتلك التغييرات التي تصيب الألفاظ القرآنية، وتحليلها صرفيًّا، بغية التعّرف على توجّه فكر الآلوسي الصرفي، وآرائه فيما يخصّ ظاهرة الإبدال مع الكشف عن دورها في توجيه المعنى القرآني.

وتمت هذه الدراسة في مبحثين، تسبقهما تمهيدٌ، وتنتهي بالخاتمة.

أمّا التّمهيد فترجمتُ فيه للمؤلف بإيجاز. وأمّا المبحث الأوّل فعنونته بـ(مفهوم الإبدال عند القدماء وموقف الآلوسي منه)، وذكرتُ فيه بعض آراء القدماء في مفهوم الإبدال، ثمّ بيان موقف الآلوسي فيما ذهب إليه القدماء من تلك الآراء. وأمّا المبحث الثاني فعنونته بـ (الإبدال عند الآلوسي دراسة تطبيقية) وكان هذا المبحثُ دراسةً تطبيقيّةً صرفية صوتيّةً تحليليّةً لمظاهر الإبدال عند الآلوسي في تفسيره.

وفي ختام البحث توصلتُ إلى جملة من النتائج.

التّمهيد

ترجمةُ المؤلِف

هو محمد بن عبدِ اللهِ الحُسيني الآلوسي، شهاب الدينِ، أبو الثناء، مفسرٌ، مُحدثٌ، فقيهٌ، لغويٌّ، نحويٌّ، ولِد ببغدادَ في شعبان سنة (1217ه) (كحالة، 3 /815 -816، الزركلي، 2002م، 176/7، سركيس، 1/3-5).ونشأ في بيت علم وفضل، فأبوه واحد من كبار علماء بغداد، وكان بيته موطنًا للعلماء والطلاب، حيث تُعقد جلسات العلم، وتُطرح مسائله، وقضاياه المختلفة في الفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة والبيان، وغيرها من العلوم. وفي هذا الجو العلمي نشأ الصبي الصغير، ولم تمضِ عليه سنوات قليلة حتّى كان قد أتمّ حفظ المتون في الفقه، والنحو، والعقيدة، والفرائض قبل أنْ يتمَّ الرابعة عشرة من عمره (البيومي، 1995، 33/2).

تخرّجَ على عُلماء عصرهِ، منهم عبد العزيز الشّواف، وعلي السويدي، وخالد النّقشبندي، وعلاء الدين الموصلي.

توفي في بغدادَ في ذي القعدة سنةَ (1270ه) وخلّفَ لنا آثارًا علميّةً قيّمةً، منها : روحُ المعاني في تفسيرِ القرآن العظيم والسبع المثاني، حاشية شرح القطر لابن هشام، الطراز المذهب في شرحِ قصيدةِ البَاز الأشهب، كشف الطّرة عن الغُرة في شرحِ دُرّة الغواص للحريري، شرح سُلّم العروج في المنطق (كحالة، 3 /815 -816، الزركلي، 2002م، 176/7، سركيس، 1/3-5).

المبحث الأوّل

مفهوم الإبدال عند القدماء وموقف الآلوسي منه

الإبدال لغة: ((مصدر الفعل (أبدله) في نحو أبدل الشيء من الشيء وبدّله : تَخِذه منه بدلاً)).(ابن منظور، 1414هـ، 48/11) والأصل في الإبدال : (جعل شيء مكان آخر). (ابن منظور، 1414هـ، 48/11).

وجاء التّعريف الاصطلاحي للإبدال مقاربًا للأصل اللغوي له، فقد اتفق علماء اللغة العربية العرب الأقدمون (سيبويه، 1988، 478/4، المبرد، 61/1، ابن فارس، 1997، 203، ابن يعيش، 2001، 7/10، السيوطي، 1998، 460/1) على تعريفٍ عامٍ، وجوهرٍ موحدٍ له، يُفهم من نصوصهم، ومن شروحاتهم لموضوع الإبدال، بأنّه يعني لديهم : إقامة حرفٍ ليس من الحروف الأصول في الكلمة مكان حرفٍ آخر من الحروف الأصول في المكان نفسه بحيث يختفي الأولُ، ويحلّ الآخرُ محلَّه سواء أكان الحرفان من حروف العلّة، أم من الحروف الصحيحة، أم كان أحدهما صحيحًا، والآخر معتلاً، وذلك في أثناء الكلام لضرورةٍ صوتيّةٍ لفظيةٍ، أو لصنعةٍ واستحسانٍ، فالغرض منه لديهم هو التّخفيف من ثقل بعض الحروف المتجاورة التي تسبب عدم الانسجام الصوتي في الكلمة، وتُجهدُ أعضاء النطق، فالإبدال يؤدي الى تيسير النّطق، وتسهيله على اللسان العربي؛ ليكون تناولها من وجهٍ واحدٍ. قال ابن فارس(ت395هـ): ((ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض)). (ابن فارس، 1997، 203) وقال ابن يعيش(ت 643هـ) : ((البدل أنْ تقيمَ حرفًا مقامَ حرفٍ، إمّا ضرورةً، وإمّا صنعةً، واستحسانًا، وربما فرّقوا بين البدل، والعوض، فقالوا :البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض؛ ولذلك يقع موقعه)). (ابن يعيش، 2001، 7/10).

تباينَ نظرةُ العلماء القدامى في تعريفهم للإبدال، فانقسموا على فريقينِ:

الأوّل: خلط بين مصطلح الإعلال، والإبدال، وهذا ما نلحظهُ في (الكتاب) لسيبويه، الذي يُعدّ أقدم مدونة وصلنا في مسائل اللغة العربية، إذ لم يُعرّف الإبدالَ، ومفهومه ليس واضحًا لديه وضوحًا تامًا، وكذا لدى مَن تبعه من علماء العربية، إذ خلطوا جميعًا مفهوم الإعلال بالإبدال، فسمّوا الإعلال إبدالاً، وسمّوا الإبدال قلبًا، فكلُّ إعلالٍ يقع بين الحركة الطويلة (الواو والياء والألف)، وجعلوا مفهوم الإبدال أعمّ من الإعلال (القلب) .

الثاني: فرّق بين الإعلال والإبدال، والعوض والبدل، فذهبوا إلى أنّ الإبدال والتعويض لا يلتقيانِ ؛ لأنّهُ لا بُدّ أنْ يكون المبدل في مكان المبدل منه، في حين أنّ العوض يكون في غير مكان المعوض منه، ويرونَ أنّ الإبدال يحدث في حروف العلّةِ(الواو والياء والألف) وغيرها، والإعلال لا يكون إلّا في أحرف العلّة. فكلُّ إعلالٍ إبدال لديهم، وليس العكس(ابن يعيش، 2001، 7/10). قال ابن يعيش: ((العِوض أنْ تُقيمَ حرفًا مقامَ حرفٍ في غير موضعه، نحو تاء عدّة، وزنة، وهمزة ابن واسم)) (ابن يعيش، 2001، 7/10).

و قال الصبان (ت 1206هـ) في تعريف الإبدال : ((هو في الاصطلاح جعل حرف مكان حرف آخر مطلقًا، فخرج بقيد المكان العوض فإنّه قد يكون في غير مكان المعوض عنه كتاء عِدّة، وهمزة ابن، وبقيد الإطلاق القلب فإنّه مختصٌ بحروف العلّة)) (الصبان، 1997، 391/4).وهذا الإبدال لديهم قياس في صيغة (افتعل) في فائها وتائها.

إذن بعد أنْ عرضنا آراء العلماء القدامى في الإبدال، فلنبين رأي الآلوسي فيه، فمن خلال تتبعنا لظاهرة الإبدال عنده رأينا أنّه اتبّع منهج سيبويه(ت180ه) ومَن تبعه في الخلط بين الإعلال والإبدال، فتارة يذكر مصطلح الإبدال مع الإبدال القياسي في صيغة (افتعل) ومشتقاته، ومن ذلك قوله في (ادّكرَ):((وَادَّكَرَ } بالدال غير المعجمة عند الجمهور، وأصله اذتكر أُبدلتِ التّاء دالاً وأدغمتِ الدال فيها)).(الآلوسي،1415ه، 442/6).وقوله في(يصطرخون):((والأصل يصترخون فأبدلت التّاء طاء)). (الآلوسي،1415ه، 372/11)، وقوله أيضًا في (يَطْعَمُهُ): ((والأصل يطتعمه فأُبدلت التّاء طاءً وأدغمت فيها الأولى)). (الآلوسي،1415ه، 278/4) وغيرها،وتارة أخرى يستعمل إلى جانب مصطلح (الإبدال) مصطلح (القلب) الذي يخصّ (الإعلال) مع الإبدال القياسي في صيغتي (افتعلَ)، و(تفاعل) ومشتقاتهما، ومن مشتقات (افتعل) قوله في (مُدّكر): ((وقرأ قتادة على ما نقل ابن عطية مذّكر بالذّال المعجمة على قلب تاء الافتعال ذالًا وإدغام الذّال في الدال)). (الآلوسي، 1415ه،83/14)، وقوله في أصل { مُزْدَجَرٌ } : ((مزتجر بالتّاء موضع الدال، وتاء الافتعال تُقلب دالاً مع الدال والذّال والراء للتناسب، وقُرىء مزجر بقلبها زايًا وإدغام الزّاي فيها)). (الآلوسي، 1415ه،78/4). ومن صيغة (تفاعلَ) قوله في (ادّرأتم) : ((أصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع فاجتمعتِ التّاء والدال مع تقارب مخرجيهما، وأريد الإدغام فقُلبتِ التّاء دالاً، وسكنت للإدغام)). (الآلوسي، 1415ه،253/1)، وأيضًا قوله : ((وقرأ طلحة والاعمش اظّاهرا بهمزة الوصل وشدّ الظاء وكذا في حرف عبد الله وأصله تظاهرا فلما قُلبت التّاء ظاءً، وأُدغمت سُكنت فاجتلبت همزة الوصل ليبتدأ بالساكن)). (الآلوسي، 1415ه، 298/10)، وغيرها من الشواهد الأخرى التي كَثُرتْ في تفسيره.

إذن إنّ ما ذكره الآلوسي كان موافقًا للغويين القدامى الذين استعملوا مصطلحاتٍ مختلفةً في الدلالة على الإبدال، ومن هذه المصطلحات (القلب)،أي: أنّ الآلوسي خلط بين المصطلحين، وكان لا بُدّ من التفريق بينهما ؛ لأنّنا لو وضعنا حدًّا للبدل والقلب لوجدنا أنّ هناك فرقًا بينهما لم يلتفتْ إليه الآلوسي، وهذا الفرق ذكرهُ ابن سيدة (ت458ه) في مخصصه بقوله : ((البدل: وضع الشيء مكان غيره، أمّا القلب : فهو تصييره عل نقيض ما كان عليه... والفرقُ بين البدل والقلب في الحروف أنّ القلب يجري على التّقدير في حروف العلّة، ومناسبة بعضها لبعض، وشِدَّة تقارُبها فكأنَّ الحرف نفسه انقلب من صورة إلى صورة إذا قلتَ قامَ، والأصل قَوَمَ فكأنّه لم يُؤْتَ بغيره بدلاً منه، ولم يخرج عنه ؛لأنّ شدّة المقاربة للنفس بمنزلة النّفس فهذا في حروف العلّة فأمّا في غيرها فيجري على البدل؛ لتباعدٍ ما بين الحرفين فلم يجب أنْ يجري مجرى ما يتقارب التّقارب الشّديد، بل وجب فيما تقاربَ أنْ يُقَدَّر أنّه لم يخرج من التّغيير عنه؛ فلذلك أُجري على طريقة القلب، فأمّا ما تباعد فيقتضي الخروج عنه في التّغيير، وهذه الفروق الدّقيقة بين هذه المعاني لا تكاد تجد مَن يقفُ عليها، ويُذاكِرُك بها، فلا يُوحِشْك ذلك منها فإنّ من جهلَ شيئًا عاداه)). (ابن سيدة 1996، 179/4).

ولقد قسّم العلماء الإبدال على قسمين :

الأوّل: الإبدال الصرفي، وقد عُني به النحويون، وسمّوه بـ(الإبدال الشّائع في التّصريف)، و(الإبدال الضروري في التّصريف) وذكروا أنّهُ يكون أقلَّ من الشّائع في كلام العرب كلّهم، أو قومٍ منهم، ووجدوا أنّه لا يحدث في حروف العربية كلّها (أبو حيّان، 1998، 255/1) وإنّما في الهجاء الذي ذكرهُ ابن الناظم في قوله المأثور: (هدأت موطيا) (محمد بن مالك، 2000، 594)، ونقص منها الهاء في التّسهيل في القول المأثور (طويت دائمًا).(السيوطي،1998، 426/3)،أو بعباراتٍ أخرى نحو:(طالَ يوم أنجدته).(أبو حيّان،1،1998/255).

الثاني: البدل الشّائع في كلام العرب، ولم يسمه اللغويون بالإبدال اللغوي).(أبو حيّان،1،1998/255)، وإنّما عنوا به، وسمّوه (البدل الشّائع في كلام العرب)، وهو أعمّ من الشّائع في التّصريف (الإبدال الصرفي)، ولكنّه غير مقيسٍ، وغير مطّرد، فلم تكن له قاعدةٌ مطردةٌ، إذ لا تُوجب حصوله ضرورة صوتية فهو غير واجب، وحروفه اثنان وعشرون حرفًا، جُمِعتْ في عبارة (لجدّ صرف شكس آمن طي ثوب عزته). (الأشموني، 1998، 84/4).

المبحث الثاني : الإبدال عند الآلوسي دراسة تطبيقية

الأوّل: الإبدال القياسي في صيغة (افتعلَ)ومشتقاته.

أوّلاً : إبدال الصامت من الصامت، ويشمل:

1- **إبدال التّاء دالاً** : تطرّق الآلوسي إلى آياتٍ كثيرةٍ في إبدال تاء الافتعال دالاً، ومن ذلك إذا كان فاؤهُ (ذالاً)، ومنه قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)(يوسف، 45) قال الآلوسي: ((وَادَّكَرَ } بالدال غير المعجمة عند الجمهور، وأصله اذْتَكر أُبدلت التّاء دالاً وأدغمت الدال فيها)).(الآلوسي، 1415هـ، 36/9)، ثمّ يذكر وجهًا آخر له وهو إبدال التّاء ذالاً مستشهدًا بقراءة الحسن قائلاً: ((وقرأ الحسن - اذّكر - بإبدال التّاء ذالاً معجمة، وإدغام الذّال المعجمة فيها، والقراءة الأولى أفصح، والمعنى على كليهما تذّكر)).(الآلوسي، 1415هـ، 36/9، الخطيب،2002، 272/4)، ومن ذلك أيضًا لفظ (مُدّكر) في قوله تعالى: (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر، 15)، قال الآلوسي: ((أي معتبر بتلك الآية الحرّية بالاعتبار، وقرأ قتادة على ما نقل ابن عطية مذكر بالذّال المعجمة على قلب تاء الافتعال ذالاً وإدغام الذّال في الذّال)). (الآلوسي، 1415هـ، 83/14، البناء، 2006، 265).

المناقشة والتحليل

تطرّق العلماء إلى هذا الإبدال كثيرًا، ومنهم سيبويه بقوله: ((كذلك تُبدل للذال من مكان التّاء أشبه الحروف بها؛ لأنّهما إذا كانتا في حرفٍ واحدٍ لزم أنْ لا يبينا إذ كانا يدغمانِ منفصلينِ، فكرهوا هذا الإجحاف، وليكون الإدغام في حرف مثله في الجهر. وذلك قولك مدّكرٌ، كقولك مطّلمٌ، ومَن قال مظعن قال مذّكر. وقد سمعناهم يقولون ذلك. والأخرى في القرآن، في قوله: { فهل مِن مُدكرٍ }. وإنّما منعهم مِن أنْ يقولوا مُذدكرٌ كما قالوا مزدانٌ أنّ كلّ واحدٍ منهما يُدغم في صاحبه في الانفصال، فلم يجز في الحرف الواحد إلّا الإدغام، والزّاي لا تدغم فيها على حالٍ فلم يشبهوها بها)). (سيبويه، 1988، 460/4-469).

إنّ أصل الكلمتين هما (مذْتَكِر) و(اذْتَكرَ) أُبدلت تاء الافتعال دالاً ؛ لثقلها، ولتقارب مخرجيهما، ثم أُبدلت الذّال؛ ليتأتى إدغامها في الدال ؛ لأنّ الدال أخف من الذّال، وهو أفصح الإبدال فيما كان فاؤه ذالاً كما في (ذكرَ).

فهذه الكلمة قد حصل فيها تطورٌ وتغيّرٌ حتى أصبحت على هذا الوضع وفق تأثرٍ متبادلٍ بين أصوات الكلمة، والذي يُسمّى الإبدال المتبادل الذي ينشأ عن تأثير صوتين بعضهما ببعض، ويختزل تلك العملية الصوتية التي تمثل مظهرًا من مظاهر السّليقة العربية في أدائها الصوتي. والذي سوّغ الإبدال في حرف الذّال هو انتقال مخرج الذّال إلى الوراء قليلًا، فيصادف الدال، وتتغير صفة الذّال من

الرخاوة إلى الشّدة فتصير دالاً (الجندي، 1983، 434) ((فتحوّل صوت الذّال إنّما هو تحوّلٌ سياقيٌ لتأثير الأصوات المتجاورة عليه حتى اكتسب هذه الصفة الفرعية، وإنّما منعهم مِن أنْ يقولوا مذدكر كما قالوا مزدان؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما يُدغم في صاحبه في الانفصال، فلم يجز في الحرف الواحد إلّا الإدغام)) (سيبويه، 1988، 470/4) وهذا مما تصرفت فيه العرب في لغتها.

إذن اجتمعتِ الذّال المجهورة مع التّاء المهموسة من دون أنْ يفصلَ بينهم صائت، ومعلوم أنّ طرف اللسان يخرج بين الأسنان عند النطق بالذّال ثُمّ لا يعود إلى وضعه الطبيعي عند النّطق بالتّاء، إنّما يتأخّر قليلاً حتّى يلتصقَ باللثة، ومغارز الأسنان، ويغلق ممر الهواء إغلاقًا تامًا، ويكون الوترانِ الصوتيانِ ما زالا يهتزانِ متأثرينِ بنطق الدال المجهورة، فيصعب على النّاطق اللغوي، فينتقل إلى حالة سكون الوترين الصوتيين مباشرة، فينطق التّاء والوتران الصوتيان في حالة اهتزاز، فينقلب التّاء إلى نظيره المجهور، وهو الدال ولما كان مخرج الذّال قريبًا جدًا من مخرج الدال جنح الناطق اللغوي إلى الإدغام، وحدث هذا الإدغام بتأثرٍ رجعي.

واستند الآلوسي إلى القراءات القرآنية في هذا الإبدال مفصلاً القول في أصل الكلمتينِ، مُرجحًا الإدغام وهذا ظاهر كلامه في الآية الأولى، وتصريحه في الآية الثانية موافقًا بذلك القراءة المتواترة مُشيرًا إلى أفصحيتها على قراءة الحسن الشاذة مستدلًا بصحة الرّواية، والسنة المتبعة عن النبي.

إذن إنّ ما حدث هو إدغام المتقاربينِ، ونقصد به عملية تجاذب الأصوات المتجاورة في خصائص صوتيةً معينةً، كالجهر، والهمس، وغيرهما، وهذا التّجاذب بين الأصوات المتقاربة تحكمه المشافهة التي تمثل صورة الاختلاف بين اللّهجات العربية في أدائها للأصوات ((والحروف المتقاربة مخارجها إذا أُدغمت فإنّ حالها حال الحرفين اللذينِ هما سواء في حسن الإدغام)). (الكتاب، 1988، 445/4).

وأرى أنّ قول الآلوسي فيه نظر ؛ لأنّه ذكر مباشرةً بأنّ التّاء أُبدِلتْ ذالاً في قراءة الحسن، وهذا لا يجوز بحسب القاعدة الصرفية، فإنّ التّاء لا تُبدل ذالاً مباشرةً في صيغة (افتعل) ومشتقاته، وإنّما يحدث ذلك بطريقتين، الأولى : إبدال التّاء دالاً فتصير (اذدَكرَ)،أو (مُذدَكر) ثُمّ تُؤثر الدال في الذّال فتُبدلها دالًا، ويحصل الإدغام بتأثرٍ رجعي (ادّكرَ) و(مُدّكر)، وأمّا الثانية: فهو إبدال الدال في (اذدكرَ)، و(مُذدكر) ذالاً ثُمّ تُدغم الذّال الأصلية بالذّال المبدلّة، فتصير الكلمتان (اذّكرَ) و(مُذّكر) ويحصل الإدغام بتأثر تقدّمي، والذي سوّغ الادغام في كليهما، تقاربهما في المخرج، والأوْلى إبدال الذّال دالاً كما هو رأي أكثر الصرفيين، وأطلق رمضان عبد التواب على تأثر تاء الافتعال غالبًا بالذّال قبلها بإبدالها ذالًا في نحو (اذتكر) (اذّكر) مصطلح (التأثر المقبل الكلي في حال الاتصال).(عبد التّواب،1975، 154-156).

وما كان فاؤه زايًا لفظ (مزدجر) ومن ذلك قوله تعالى (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ).(القمر، 4). قال الآلوسي:((وأصل {مُزْدَجَرٌ } مزتجر بالتّاء موضع الدال، وتاء الافتعال تُقلب دالاً مع الدال والذّال والراء للتناسب، وقُرىء مزّجر بقلبها زايًا وإدغام الزّاي فيها)). (الآلوسي، 1415هـ، 78/14).

المناقشة والتحليل

إنّ الإبدال في كلمة (مزدجر) إنّما هو بدل محض ليس متجاذبًا مع الإدغام، قال أبو علي الفارسي (ت377هـ): ((إبدال الحروف على ضربين، أحدهما: بدل حرف من حرف لأجل الإدغام. والآخر بدل حرف من حرف لغير الإدغام)). (الفارسي،1981، 243) .

فإنّ كلمة "ازدّجرَ"جذرها "زجر"، فلما زيدت عليها همزة الوصل والتّاء صارت في الأصل " ازتَجرَ" ؛ فاجتمع الزّاي المجهور مع التّاء المهموسة من دون فاصل بينهما، فصار النطق بهما مستثقلًا؛ لأنّ الوترين الصوتيين لدى نطق الزّاي يكونان في حالة اهتزازٍ شديدٍ، والزّاي ساكن لا يُفصل بينها وبين التّاء؛ ليسهل الانتقال إلى حالة انفراج الوترين، وهنا يكون ممر الهواء قد اتّخذ حالةً مشابهةً لنطق صوت التّاء، فصار من الصعب فتح الوترين لمنح التّاء صفة الهمس، فاضطر الناطق اللغوي إلى نطق التّاء والوتران الصوتيان في حالة اهتزازٍ، مما عر ضها إلى عملية إجهار، فصارت التّاء دالاً ؛ لأنّه لا فرق بين التّاء والدال إلّا في اهتزاز الوترين الصوتيين مع الدال، وعدم اهتزازهما مع التّاء، وبإبدال التّاء دالًا بسبب تجانس الدال مع الزّاي في الجهر، فصارت أيسر نطقًا (شاهين، 208-212).

وأطلق رمضان عبد التواب على تأثر تاء (افتعل) بالزّاي المجهورة بإبدالها إلى ما يقابلها (المجهور)، وهو الدال مصطلح (التأثر المقبل الجزئي في حال الاتصال) (عبد التواب، 1975، 154) في حين أطلق عليه أحمد مختار عمر مصطلح (المماثلة التقدمية). (عمر، 1997، 325).

وأجازوا وجهًا آخر من الإبدال في كلمة (مزدجر) هو إبدال الدال زايًا، وإدغامها في الزّاي قبلها، وهو إدغامٌ تقدّمي، إذ تأثّر الصوت الثاني بالصوت الأوّل فصار (مزّجر)، وقد قُرئ به (العكبري،526-527)، والذي سوّغ هذا الإبدال؛ تقاربهما في المخرج، واشتراكهما في الصفات(الجهر، والاستفال، والانفتاح، والإصمات)؛ ولكنّ صوت الزّاي أقوى من الدال؛ لما تتميز به من صفة الصفير، فأثر صفة الصفير في الدال فأبدلها زايًا مثلها، ثُمّ حصل الإدغام بتأثرٍ تقدّمي، ولا يجوز إبدال الزّاي دالاً ؛ لفوات الصفير.

أصّلَ الآلوسي الكلمة، وأشار إلى الإبدال بالقلب، ثُمّ أشار إلى قراءةٍ بالإدغام من دون أنْ يُرجح أحدهما. وإبدال الدال زايًا قليل في كلام العرب، والأشهر إظهار الدال، والمعنى الذي أشار إليه وزن الافتعال هو (فاعل).

2- **إبدال التّاء طاءً:** تطرّق الآلوسي إلى إبدال التّاء طاء مُبينًا أصل الفعل، ومن ذلك لفظ (يصطرخون) في قوله تعالى:(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) (فاطر، 37)**.**

قالَ الآلوسي : ((هم يصطرخون فيها افتعال من الصراخ، وهو شدّة الصياح، والأصل يصترخون، فأُبدلت التّاء طاء، ويستعمل كثيرًا في الاستغاثة؛ لأن المستغيث يصيح غالبًا)). (الآلوسي، 1415هـ،11/ 372).

المناقشة والتحليل

إنّ أصل (يصطرخون) هو (يصترخون) امتنع إدغام الصاد في التّاء ؛ لأنّ الصاد صوتٌ قوي لا يدُغم فيما هو أضعف منه، والصاد يتمتع بالإطباق فضلاً عن الصفير، وهذا ما لا يتوافق مع التّاء الشديدة المهموسة ؛لذا ((كرهوا استعلاء الصاد وبعدها حرف غير مستعل، وهو التّاء إلّا إنّه من حيز حرف مستعل وهو الصاد والطاء في الاستعلاء)). (ابن جني، 1954، 543).

جاورت التّاء المنفتحة هذا الصوت المطبق مِن دون أنْ يفصل بينهما صائت، فصَعُبَ على الناطق أنْ ينتقل من وضع الاستعلاء الخلفي إلى وضع الاستفال مباشرةً، فاضُطرَّ إلى نطق التّاء، ومعظم اللسان من الخلف مُسْتعلٍ إلى حدّ الإطباق، فيمنح هذا الوضع التّاء قيمة تفخيمية، فتصير طاءً؛ لأنّ التّاء تعرّضت لعملية إطباقٍ، والذي أدّى إلى هذه العملية الصوتية هو التباعد بين التّاء وهذه الأصوات

المطبقة" ص، ض، ط، ظ"، فالتّاء صوتٌ منفتحٌ مستفلٌ، وهذه الأصوات مطبقة مستعلية، فأبدلَ الناطق اللغوي من التّاء أختها في المخرج، وأخت هذه الأصوات في الاستعلاء، والإطباق الطاء.

ويتبين لنا أنّ اجتماع حرفين مطبقين في لفظ (يصطرخون) كوّن جرسًا شديدًا يوحي إلينا بشدة الصراخ الناتج من إطباق النار عليهم، فإنّ جذره الأصلي (ص ر خ) يدلّ على الصوت الرفيع، قال ابن فارس: ((الصاد والراء والخاء أصل يدلّ على صوت رفيعٍ ومن ذلك الصراخ، يُقال للصارخ : المستغيث)). (ابن فارس، 1979، 348/3).

وجاء في تفسير البيان:((إنّ الصراخ افتعال وهو الصياح بجهدٍ وشدّةٍ ودخلت الطاء فيه للمبالغة)) (حقي،355/7)، ووافقه الآلوسي.

إنّ السّياق القرآني اقتضى التعبير عن شدة الخوف، والفزع، والهلع بصيغة المبالغة (يصطرخون)، وهذا المعنى لا يتحقق مع صيغة (يصرخون)؛ لأنّها لا مبالغة فيها فهو مطلق الصراخ، والاستغاثة لا تكلّف فيه. والذي دلّ على ذلك هو ترتيب هذه الأصوات، فالصاد صوتٌ صفيريٌ رخو مطبقٌ مستعل، والطاء صوتٌ شديدٌ مجهورٌ مطبقٌ مستعل، وعندما التقى الصاد بالطاء أنعم بيانه وأعطى حقّه فخرج من الإطباق إلى الاستعلاء (ابن جني، 2000، 223/1، عمر، 1997، 90، 129)، وإنّ هذه المفردة تتكون من أربعة مقاطع صوتية وهي:

ي ـَص / ط ـَ/ ر ـ / خ ــُـن

ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ح ص

طويل مغلق / قصير / قصير / مديد في الوقف

أمّا (يصرخون) فتتكون من ثلاثة مقاطع :

ي ـَص / ر ـ / خ ــُـن

ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص

طويل مغلق / قصير / مديد في الوقف

والزيادة في المقطع تنبأ بشدة الصراخ للتخلص مما يعانون مِن هولهِ.

وورد إبدال التّاء طاء ثُم إبدال الطاء صادًا في كلمة (يصلحا) في قراءة الجحدري (البناء، 2006،246) لقوله تعالى: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا) (النساء، 128) قال الآلوسي : ((قرأ الجحدري- يصّلحا- بالفتح والتشديد من غير ألف، وأصله يصطلحا فخُفِفَ بإبدال الطاء المبدلة من تاء الافتعال صادًا، وأُدغمت الأولى فيها ؛ لأنّه أُبدلتِ التّاء ابتداءً صادًا وأُدغم- كما قال أبو البقاء؛ لأن تاء الافتعال يجب قلبها طاءً بعد الأحرف الأربعة)). (الآلوسي، 1415هـ، 156/3).

المناقشة والتحليل

إنّ أصل يصّلحا هو يصطلحا، أُبدلت التّاءُ طاءً، ثُمّ أُدغمت في الصاد وهو إدغام تقدّمي، إذ تأثر الصوت الثاني بالصوت الأوّل، وإدغام الطاء في الصاد سائغ لما بين الحرفين من القرابة فهما متقاربان مخرجًا ويشتركان في ثلاث صفات، الاستعلاء، والإطباق والإصمات قال ابن جني (ت392ه) : ((يصطلحا، أيْ يفتعلا، فآثر الإدغام فأبدل الطاء صادًا، ثم أُدغم فيها الصاد التي هي فاء، فصارت يصَّلحا ولم يجز أنْ تُبدل الصاد طاءً لما فيها من امتداد الصفير، ألا ترى أنّ كلّ واحدٍ من الطاء وأختيها، والظاء وأختيها يُدغمنَ في الصاد وأختيها، ولا يدغم واحدةٌ منهن في واحدةٍ منهن؟ فلذلك لم يجز "إلا أنْ يَطَّلحا"، وجاز "يصَّلحا")). (ابن جني، 1999، 201).

والذي يبدو لنا أنّ كلام ابن جني فيه نوعٌ من التناقض، فهو من جهةٍ ينفي إدغام الصاد في الطاء والتّاء والدال، ويقرّ بأنّ الطاء هي التي أُبدلتْ صادًا، ومن جهةٍ أخرى يتعمد القول بأنّ المدغم هو الصاد فاء الفعل، وليس الصاد المبدلة من الطاء وكلّ هذا حتى يسلم قياسه اللغوي.

وردّ الآلوسي على العكبري فيما ذهب إليه من أنّ التّاء تُقلب صادًا ؛ ذاكرًا بأنّ التّاء لا تُقلبُ صادًا مباشرةً إلّا بإبدال التّاء طاء أوّلاً، ثمّ إبدال الطاء بصوتٍ قريبٍ منها، وهي الصاد فحدثت مماثلةٌ تقدّميةٌ؛ ثُم حدث الإدغام وما ذهب اليه الالوسي هو الرّاجح؛ لأنّه وافق بذلك القاعدة الصرفية.

ثانيًا: إبدال الصامت من الصائت

إذا ورد الصائت فاء في صيغة (افْتَعَلَ) في اللغة العربية واوًا، أو ياءً تُبدل تاءً، ومن ذلك ما ذكره الآلوسي في قوله تعالى : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً) (يوسف، 31) قائلاً : ((وأصله موتكأ ؛ لأنّه من توكأتُ، فأُبدلت الواو تاءً، وأدغمتْ في مثلها)). (الآلوسي، 1415ه،418/6).

المناقشة والتحليل

إنّ ما ذهب إليه الآلوسي موافقٌ لمذهب اللغويين العرب الأقدمين (سيبويه 4،239/1988) الذين يرون أنّ فاء (افتعل) تُبدل تاءً قياسًا عند بناء صيغة (افتعل)، أو أحد مشتقاته من معتل الفاء بالواو، أو الياء، ثمّ تُدغم في تاء بناء (افتعل)؛ لاجتماع مثلين أولهما ساكن، فوجب الإدغام في (اتَّعد) و(اتَّسر)، والأصل فيهما (اوتعد) و(ايتسر)؛ وذلك لانعدام الانسجام الصوتي بين صوتي الواو والياء المجهورتين، وصوت التّاء المهموسة، إذ إنّ توالهما في تلك الصيغة يُحدث ثقلاً واضحًا يقتضي ذلك التغيير.

ويرى المبرد (ت 285ه) السبب في أنَّ ((التّاء من حروف الزوائد والبدل، وهي أقرب الزوائد من الفم الى حروف الشفة)).(المبرد، 91/1)، ويرى الرضي الاستراباذي (ت686ه) أنّ السبب هو قرب مخرج الواو من التّاء، واجتماعهما في الهمس قائلًا :((اعلم أنّ التّاء قريبة من الواو في المخرج؛ لكون التّاء من أصول الثنايا، والواو من الشّفتين، ويجمعهما الهَمْسُ، فتقع التّاء بدلاً منها كثيراً)).(الاستراباذي، 1975، 80/3).

وسمّى علماء الأصوات المحدثون ذلك الإبدال بـ(المماثلة الرجعية) (أنيس، 180،128،1961-181،عمر، 1997، 325)؛ لأنّها تحصل عندما يتجاور صوتان لغويان، فيؤثر الصوت الثاني (اللاحق) منهما في الأوّل (السّابق) في داخل بنيةٍ واحدةٍ كما حصل في تأثير تاء صيغة (افتعل) في صوت الواو عندما وقعت فاءً في تلك الصيغة، وذلك بإبدالها إلى تاءٍ تُدغم في تاء الافتعال.

لقد جاء (مُتَّكَأً)اسم مفعول من الفعل (اتّكأ) الذي هو في الأصل (اوتكأ)، والذي جذره الثلاثي (وكأ) ويرى سيبويه أنّ سبب الإبدال في صيغة (افتعل) هو ضعف الواو، وسبقها بكسرةٍ، فيبدلونها بحرفٍ أجلد منها لا يزول، وهو (التّاء)؛ لأنّ هذا أخفّ عليهم(سيبويه، 1988، 239/4).

ومن المحدثين مَن يرى أنّ السبب في حصوله يعود إلى أنّ الواو نصف حركةٍ يتسم بالقصر، وقلّة الوضوح السمعي إذا قيستْ بالحركات الصرفة؛ لهذا يُلحق بالصوامت الاحتكاكية، وإنْ كان الاحتكاك فيها قليلاً أكثر مما يلحق بالحركات؛ لأنّ من شأن الحركة أنْ تقوي الحرف، وتحصنه فقد وقع هذا الصوت السّاكن المتسم بالقصر، وقلّة الوضوح السمعي تحت تأثير صوت التّاء الانفجارية التي تُعد صفة قوةٍ في الصوت المتسم به بالقياس إلى ملمح الاحتكاك، وعلى هذا فقد أثّر صوت التّاء الانفجاري المتحرك في الواو، أو التّاء، وأبدلها الى حرفٍ من جنسه.(النوري، 1992، 86-87)، ومنهم مَن يرى أنّ الذي حدث هو بسبب تتابع أجناس متشابهة، أو أضداد، وهي (واو ساكنة قبلها كسرة)، و(ياء ساكنة قبلها كسرة) وكلاهما مرفوضٌ عربيًا، ولكن لا يجيز الواقع الصرفي الصوتي الإبدال، أو المماثلة بين الصوتين المتجاورين إلّا إذا تقاربا في المخرج، أو اتّحدا، أو كانا من مجموعةٍ واحدةٍ من الصوامت، أو الحركاتِ، فلا يجوز القول بإبدال الواو والياء تاء وقلبهما؛ لبعد ما بين الواو والياء من جهةٍ، والتّاء من جهةٍ أخرى، فالواو والياء صوتان انطلاقيان مجهوران (نصفا حركة) والتّاء صوتٌ لثويٌ انفجاريٌ مهموسٌ (من الصوامت)، ومن حيث المخرج فالواو طبقيةٌ، والياء غاريةٌ، والتّاء أسنانيةٌ لثويةٌ فهما مختلفان صفةً ومخرجًا ولا يصحّ الإبدال بينهما؛ لذا فإنّ ذلك ليس من باب الإبدال، بل هو من باب الحذفِ والتعويضِ الموقعي، فقد حُذفتِ الواو، أو الياء؛ لاستثقالهما في هذا الموقع، وجرى التعويض عنهما بتكرار التّاء النّبريةِ، فالتّاء هنا وسيلةٌ لتحقيق الإيقاع اللازم لصيغة الافتعال لا غير.(الشّايب، 1994، 20- 26،شاهين، 1980، 210-211).

وأرى أنّ ما حدث في صيغة (چ ڕ چ أيضًا هو من قبيل الحذف والتعويض، وليس من الابدال كما ذهب إليه القدماء والآلوسي، مع الأخذ بالحسبان بأنّ الواو صائت طويل في هذه الصيغة، وعلّة ذلك ما ذكره المحدثون هو عدم وجودِ قرابةٍ صوتيةٍ بين التّاء والواو، فهما مختلفان صفةً ومخرجًا، وأنّ ما حدث هو حذف الواو، والتعويض عنها بالتّاء مماثلة لتاء افتعل وبعد المماثلة حدث الإدغام.

الثاني/ الإبدال القياسي في صيغة (تفاعل) ومشتقاته

أوّلًا: إبدال التّاء دالاً

ومن ذلك لفظ (ادَّارَأْتُمْ) في قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)(البقرة، 72) يردّ الآلوسي الفعل إلى أصله ذاكرًا القاعدة العامة لها بقوله: ((أصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع فاجتمعت التّاء والدال مع تقارب مخرجيهما وأُريد الإدغام فقُلبتِ التّاء دالاً، وسكّنت للإدغام فاجتلبت همزة الوصل للتوصل إلى الابتداء بها)). (الآلوسي، 1415هـ، 1/ 293).

المناقشة والتحليل

إنّ ما يسوغ الإدغام (المتقارب) بأثرٍ رجعي؛ لأنّهما من موضعٍ واحدٍ وهما شديدان وليس بينهما إلّا الجهر والهمس حيث تتميز الأصوات المجهورة بأنّ فيها قوةَ الاعتماد، أمّا المهموسة فهي ضعيفة الاعتماد، قالَ سيبويه في هذا الصدد : ((فالمجهورة: حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أنْ يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت...وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)). (سيبويه، 1988، 434/4).

ولو تأملنا اللفظة، وحاولنا تفسير الدلالة الصوتية فيه، وما أثاره الإدغام من إيحاءٍ بالمعنى المطلوب وقفنا على صورةٍ معبرةٍ يبعث شيئًا في الذهن، صورة خصمهم الآية الكريمة وهم في حالةٍ شديدةٍ من الاختصام والاختلاف، وهذه الشدة في الحال جاءت لتحاكي شدة الفعل، وهو القتل، فلو جاء التعبير بقول (تدارأتم) لكانت الدلالة الإيحائية أقلّ شدةً، ومِن ثمّ لا يكونوا هنا معادل لشدة الفعل، وعليه فإنّ الإدغام جاء استجابةً للمعنى والموسيقى إذ إنّه أفاض على النص بشحنةٍ موسيقيةٍ صاخبةٍ منسجمةٍ مع سياق القوة، والعنف، والتهديد الذي جاء به النص الكريم، كما أنّ للإدغام أثرًا في تغيير المقاطع من حيث نوعيته مع الاتفاق في العدد، ففي (ادّرأتم) تكون المقاطع على النحو الآتي :

ء ـــد/ د ـــ / ر ـــء / ت ـــم/

ص ح ص / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص/

طويل مغلق / طويل مفتوح / طويل مغلق / طويل مغلق /

أمّا (تدارأتم) فمقاطعها على النحو الآتي :

ت ـــ / د ـــ / ر ـــء / ت ـــم/

ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص/

قصير / طويل مفتوح / طويل مغلق / طويل مغلق /

فتبين لنا أنّ المقطع القصير في (تدارأتم) صار مقطعًا طويلاً مغلقًا مع (ادّارأتم) بسبب الإدغام.

ثُمّ يبين لنا الآلوسي أنّ ما حدث خاضع للقواعد قائلاً : ((وهذا مطرد في كلّ فعلٍ على تفاعل أو تفعل فاؤه تاء أو طاء، أو ظاء، أو صاد، أو ضاد)). (الآلوسي، 1415هـ، 293/1).

ثانيًا : ابدال التّاء طاء

ومن ذلك (اطَّيَّرْنَا) في قوله تعالى: (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) (النمل، 47) قالَ الآلوسي: ((قالوا اطّيرنا أصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التّاء في الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء والتطير التشاؤم)). (الآلوسي، 1415، 205/10، الخطيب،2002، 520/6).

المناقشة والتحليل

يشترك صوتا التّاء والطاء في المخرج، وفي صفتي الهمس الانفجار، ويتمايزان في الإطباق والانفتاح، فالطاء النظير المطبق للتاء، وقد أتاح هذا التقارب الشديد بين الصوتين حدوث تبدلاتٍ صوتيةٍ، فإذا تعرّضت التّاء إلى الإطباق لسبب ما صارت طاءً، وإذا انفتحت الطاء صارت تاءً، يقول رضي الدين الاستراباذي: ((بأنْ تجعل في التّاء إطباقًا فتصير طاءً؛ لأنّ الطاء هو التّاء بالإطباق)). (الاستراباذي، 1975، 80/3).

والحقيقة أنّ هذا الأسلوب ورد مكررًا في القران الكريم، فقد ذهب الدكتور فاضل صالح السامرائي في معرض حديثه عن قوله تعالى چ ﭓ چ في سورة يس و(اطّيرنا) التي هي موطن الشاهد عندنا إلى أنّ ((التّطير في النّمل أشد ممّا في(يس)، بدليل أنّهم قالوا في (يس)(قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) (يس، 18) فهددهم بالرجم والتّعذيب، أمّا في النّمل فقد أقسموا، وتعاهدوا على قتله وقتل أهله، ومعنى ذلك أنّ التّطير بلغ عندهم درجةً أكبر، واشد ممّا في (يس)، فجاء بما فيه زيادة مبالغة)). (السامرائي، 54)

ثالثًا : ابدال التّاء صادًا

ومن ذلك قوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)(الأنعام، 125).

قالَ الآلوسي : ((وأصل يصّعد يتصعد، وقد قرئ به فادغمت التّاء في الصاد. وقرأ ابن كثير يصّعد، وأبو بكر عن عاصم يصّاعد، وأصله أيضًا ما تقدّم)). (الآلوسي، 1415هـ، 267/4، ابن مجاهد، 1400هـ،268-269).

المناقشة والتحليل

ذكر الآلوسي أصل (يصّعد) مستشهدًا على ذلك بالقراءات الواردة في هذه الآية من دون أنْ يذكر سبب الادغام هنا فقرأه الجمهور: { يصّعَّد } بتشديد الصاد وتشديد العين على أنَّه يَتفعَّل من الصعود، أي: بتكلّف الصعود، فأُبدلت تاء التّفعل صادًا؛ لأنّ التّاء شبيهة بحروف الإطباق كما أنّه يماثله (الصاد) في صفة الهمس، فلذلك تُقلب طاءً بعد حروف الإطباق في الافتعال قلبًا مطّردًا، ثمّ تُدغم تارة في مماثلها، أو مقاربها، وقد تقلب فيما يشابه الافتعال إذا أُريد التّخفيف بالإدغام، فتُدغمُ في أحد أحرف الإطباق، كما هنا، فإنَّه أريد تخفيف أحد الأحرف الثّلاثة المتحرّكة المتوالية من (يَتصعّد)، فسُكنت التّاء، ثمّ أُدغمت في الصّاد إدغام المقارب للتخفيف.

وقراءة أبي بكر عن عاصم (يصّاعد) بتشديد الصاد فأصلها (يتصاعد)، ثُمّ أبدلت التّاء صادًا، ثُمّ أدغمت في الصاد؛ لوجود التقارب بين التّاء والصاد. وذكر الآلوسي بأنّ (يصّاعد) مثل (يصّعد) في المعنى وهو :((المبالغة في ضيق صدره حيث شبه بمن يزاول ما لا يقدر عليه، فإنّ صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة، وفيه تنبيه على أنّ الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود)). (الآلوسي، 1415هـ، 267/4).

إذن الذي حدث في (يصّعد) مماثلة رجعية كليّة للصاد ثمّ جرى الإدغام.

رابعًا: إبدال التّاء سينًا

ومن ذلك قوله تعالى : (لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى) (الصافات، 8).

قال الآلوسي : ((لا يسّمعون إلى الملأ الأعلى أي لا يتسمعون هذا أصله فأدغمت التّاء في السين، وضمير الجمع لكلِّ شيطانٍ؛ لأنّه بمعنى الشياطين)) (الآلوسي، 1415هـ، 67/12).

المناقشة والتحليل

إنّ السّين حرفٌ أسنانيٌّ رخوٌ، مهموس مستفل، فهذا الحرف مهموسٌ مستفلٌ في اللفظ، ومرقّقٌ في السّمع، وهو في العربيّة عالي الصفير (سيبويه، 1988، 457/4) أمّا صوت التّاء، فقد وصفه العلماء القدماء بأنّه صوتٌ نطعيٌ، يخرج من بين طرف اللسان، وأصول الثنايا، وشديد، ومرقق، ومهموس (ابن جني، 2000، 47) وهذا التوصيف يتماثل مع صفات التّاء في الدرس اللساني الحديث، فمن المعلوم في علم الأصوات الحديث أنّ إنتاج صوت التّاء يبدأ عند مرور الهواء المندفع من الرئتين بين الوترين الصوتيين، وهما في حالة انفراج، مما يسمح للهواء بالمرور مِن دون إحداث ذبذبة في الوترينِ الصوتيينِ، فيكتسب صوت التّاء صفة الهمس، ثم يستمر الهواء في الاندفاع ليصل إلى أصول الأسنان العلوية، فيرتفع مُقدّم اللسان ليعترض الهواء اعتراضًا كليّا، فيُحبس الهواء بين مقدم اللسان من جهةٍ، واللثة والأسنان من جهةٍ أخرى، فينحصر الهواء، ثم تنفرج أعضاء النطق، فيخرج الهواء الذي كان محصورًا، فيخرج صوت التّاء قويًا منفجرًا، فيكتسب صفة الانفجار الشدة عند القدماء؛ ولأنّ اللسان اعترض الهواء في منطقة اتصال اللثة بالأسنان العلوية أطلقوا عليه صفة لثوي أسناني، وكذلك نلحظ أنّ معظم اللسان من الخلف يستفل عند النطق بصوت التّاء، فيحدث انفتاحٌ ما بين مؤخر اللسان وأقصى الحنك، مما يمنح صوت التاء قيمةً ترقيقيةً.

وذهب الآلوسي إلى ادغام التّاء في السين مِن دون أنْ يبين مبدأ التأثر والتأثير بين الصوتين كما أنّه لم يذكر العلّة التي دعت إلى الإدغام، وهو بذلك يتبع سيبويه فيما ذهب إليه من عدم ذكر مبدأ التأثر والتأثير هنا، ويظهر ذلك في قول سيبويه إذ قال: ((تقول في مستمع مسّمع فتدغم؛ لأنّهما مهموسان ولا سبيل لإدغام السين في التّاء، فإنْ أدغمت قلتَ مسّمع كما قلتَ مصّبر حيث لم يجز إدخال الصاد في الطاء)). (سيبويه، 1988، 468/4).

إذن يوجد بين السين والتّاء تقاربٌ في المخرج، ويشتركان في بعض الصفات (الهمس، والاستفال، والانفتاح، والإصمات) ويتميز السين عن التّاء بصفة الصفير، وهذا الصفير ملمحٌ قويٌ استطاع بقوته أنْ يؤثر في التّاء، ويبدلها سينًا مثلها (مماثلة رجعية) ثمّ جرى الإدغام.

إذن يتبين لنا أنّ حدوث الإبدال القياسي في صيغة (تفاعل) ومشتقاته هو للتخلص من صعوبة النطق؛ لأنّ مخارج الأصوات التي ذكرناها قريبة من مخرج التّاء فلجأت العربية إلى المماثلة بين الصوتين المتقاربين؛ لتسهيل عميلة الإدغام.

الخاتمة

توصل البحث في الإبدال عند الآلوسي في تفسيره روح المعاني إلى جملةٍ من النتائج هي:

1- إنّ مصطلح الإبدال لم يستقر مفهومه عند الآلوسي فقد شابه الغموض، والخلط أيضًا وفي منهجه هذا تابع القدماء الذين خلطوا بين مصطلحي الإبدال والقلب الذي يختص بالإعلال.

2- درس الآلوسي الصوت من الجانب الصوري (الشكل) والتفت بشكلٍ رئيس إلى (الإدغام) فلا تكاد تخلو الإبدال عنده من الإدغام إلّا فيما ندر، وكأنّ الغرض الرئيس من الإبدال عنده الإدغام.

3- اعتمد الآلوسي على القراءات القرآنية في عرضه لهذه الظاهرة، ولا يُرجح إحداها إلّا نادرًا.

4- ذكر الآلوسي في بعض المواطن الغرض من الابدال، وممّا ذكره (التناسب).

5- أصّل الآلوسي للقاعدة العامة لظاهرة الإبدال الصرفي، وهذا ما لمسناه في عرضه لصيغتي الافتعال والتّفاعل ومشتقاتهما.

6- انتهج الآلوسي مبدأ الرد على المخالفين للقوانين الصرفية والصوتيه وهذا ما لمسناه في رده على العكبري.

7- إن الواو والياء حركتان طويلتان، فالواو تساوي ضمتين والياء تساوي كسرتين، لذا فلا يحدث إبدال بين هذين الحرفين والتّاء في صيغة افتعل، وإنما هو من باب الحذف والتعويض الموقعي إذ تحذف الواو، أو الياء ويعوض عن المحذوف بتاءٍ نبريةٍ ؛لأنّ شرط الإبدال أنْ تكون هناك علاقةٌ صوتيةٌ بين المبدل والمبدل منه، وهذا غير موجودٍ في ذلك الموضع، وإنْ كان معنى التّعويض في هذا الموضع يخالف ما ذهب إليه علماء العربية الأقدمون.

Al-Ibdal according to Al-Alusi (d. 1270 AH) in his interpretation Ruh al-Maani - an analytical phonological-morphological study

Kubra Jalil Hussein

Arabic language, college education , Garmian University, Sulaimani , Kalar, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract

The phenomenon of substitution is one of the most important phonetic phenomena in Arabic, and much has been said about it, both ancient and modern. So I decided to write a research on it, aiming to conduct a descriptive and analytical study on the term substitution, its concept, and the method of analyzing it according to one of the commentators, namely Al-Alusi. To clarify his position on him.

We decided to limit our research to the well-known and common cases in its interpretation that occurred due to the phonetic relationship between the substitute and its substitute. So we excluded those rare cases that occur between distant sounds that do not have a phonetic vowel between them, and we limited ourselves to sounds with united exits, close ones, and in the case of not The presence of an output relationship led us towards the acoustic characteristics of the two replaced sounds.

Keywords: Alusi, substitution, assimilation, morphology, standard.

المصادروالمراجع

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، (1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392هـ)،(1421هـ- 2000م)،سر صناعة الإعراب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، (1420هـ- 1999م)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (د.ط)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، (1954م)، المنصف شرح الإمام (لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري(ت 249 هـ)، ط1 تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، طبع ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت 458هـ)، (1417هـ1996م)، المخصص، ط1.المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت 395هـ)،(1418هـ-1997م)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، محمد علي بيضون.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت 395هـ)، (1399هـ - 1979م)، مقاييس اللغة، (د.ط)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، : دار الفكر.

ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر بن مجاهد البغدادي التميمي (ت 324هـ)، (1400هـ)، كتاب السبعة في القراءات، ط2، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، 1414 هـ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت- لبنان.

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، (ت 643هـ)، (1422هـ -2001م)، شرح المفصل للزمخشري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان بن أثير الدين الأندلسي، (ت 745هـ)، (1418هـ-1998م)، ارتشاف الضرب من لسانِ العربِ، ط1، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الاستراباذي، محمد بن حسن الرضي (ت 686هـ)،(١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل: عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (١٠٩٣هـ)، حققهما وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما الأساتذة:محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، تصوير: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى(ت900هـ)، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

أنيس، إبراهيم، (1961 م)، الأصوات اللغوية، ط 3، مطبعتا دار النهضة العربية، ولجنة البيان العربي بالقاهرة.

البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت1117 هـ)، (2006م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط3، وضع حواشيه أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

البيومي، محمد رجب، (1415هـ-1995م)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1، دار القلم- دمشق، الدار الشامية، بيروت.

الجندي، أحمد علم الدين، (1983م)، اللّهجات العربية في التراث، (د.ط)، الدار العربية للكتاب.

حقي، أبو الفداء إسماعيل بن حقي بن مصطفى الحنفي، (ت1127هـ)، (د.ت)، روح البيان في تفسير القرآن، (د.ط)، دار الفكر، بيروت.

الخطيب، عبد اللطيف، (2002م)، معجم القراءات، ط1، دار سعد الدين، دمشق.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت 1396هـ)، (2002م)،، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين.

السامرائي، الدكتور فاضل صالح، (د.ت)، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، شركة العاتك لصناعة الكتاب والنشر والتوزيع.

سركيس،يوسف بن إليان بن موسى، (ت1351هـ)، (1346هـ-1928م)، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (د.ط)، مطبعة سركيس بمصر.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (ت 180هـ)،(1408 هـ - 1988 م)، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911ه)،(1418ه 1998م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط1،المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

شاهين، عبد الصبور، (1400ه- 1980م)، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان.

الصّبان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (ت 1206ه)، (1417 ه-1997م)، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت616ه)، (د.ت)، إعراب القراءات الشواذ، (د.ط)، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب.

عمر، أحمد مختار (1997-1418ه)،دراسة الصوت اللغوي، (د.ط)، عالم الكتب.

الفارسي، أبو علي (ت 377ه)، (1981 م)، التكملة، ط1، تحقيق : حسن شاذلي فرهود، نشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية.

كحالة، عمر رضا، (د.ت)، معجم المؤلفين، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، (ت 285ه)، (1994م)، المقتضب، ط3، المحقق: محمد عبد

الخالق عظيمة، القاهرة.

محمد بن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين، (ت ٦٨٦ ه)، (١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، (ط1)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.

الشايب، فوزي، (1994م)، خواطر وآراء صرفية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع47، السنة الثامنة عشرة، تموز – كانون الأول.

عبد التواب، رمضان، (1975م)، التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج1، م50.

النوري، (1992 م)، محمد جواد، من العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية، البلقاء للبحوث والدراسات مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة عمان الأهلية، م2، ع1، كانون الأول.